

إحياء علوم الدين

سنة أسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأنني لا أدري ما طهر له من القلب .
وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت
الموت على الإسلام لأنني لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار .
وكان أبو الدرداء يحلف بأني ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عن الموت إلا سلبه .
وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم
إني تعالى إذ قال وقلوبهم وجلة .
ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقبل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم
من ذنوبك فقال أو على ذنوبي أبكي لو علمت أنني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله
بأمثال الجبال من الخطايا .
وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال إذا حضرته الوفاة فاقعد عند رأسي فإن
رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل
البلد وقل هذا عرس المنفلت وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا
بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة .
فقال وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز
وفرقه .
وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر .
وكان أبو زيد يقول إذا توجهت إلى المسجد فكأن في وسطي زنارا أخاف أن يذهب بي إلى
البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات .
وروي عن المسيح عليه السلام أنه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء
نخاف الكفر .
وروي في أخبار الأنبياء أن نبيا شكى إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه
الصوف .
فأوحى الله تعالى إليه عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ
التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر .
فإن كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه
الضعفاء .
ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات

المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أعلم أني برئ من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال A أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهم ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر // حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم في قواعد العقائد // .

وفي لفظ آخر وإذا عاهد غدر .

وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صديق إذ قال الحسن إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذا المعاني